أحياز الأفعال في بعض مرثيات القائد الرمز أبي عمار " دراسة وصفية تحليلية"

د. فضل محمد النمس*

الملخص

يتقيأ هذا البحث ظلال بعض من أشعار رثاء القائد الرمز أبي عمار مراقباً أحياز الأفعال فيها من حيث سعة إعمالها بالزيادة والنقصان، أو من حيث موافقتها لقاعدة التعدي واللزوم النحوية، مستعرضاً أثـر ذلك على الشعر من حيث الدلالة والمعنى.

The extensiveness and semantics of verbs in some verses of elegy for the symbolic leader " Abu – Ammar"

ABSTRACT

This research sheds light on some verses of elegy for the symbolic leader, highlighting the extent of verbs in terms of applying addition and omission, or in terms of the agreement of these verbs to the grammatical rule of transitive and intransitive.

This research also reviews the effectiveness of doing so on the poetry in terms of semantics.

يهدف هذا البحث إلى تناول بعض مرثيات القائد الرمز أبي عمار بالدراسة فينظـر فـي أحياز الأفعال [1] المستخدمة في نماذج من هذه الأشعار معتمدا في ذلك على منـشورات اللجنـة التحضيرية لمؤتمر عرفات في جامعة الأقصى .

وبالنظرة المتفحصة لهذه الأفعال نجد أنّ أحيازها في الاستخدام الشعري في هذه المرثيات كانت على النحو التالي:

- أحياز على النحو المألوف "للفعل القاصر" الذي يقتصر على الفاعل أو "للفعل المجاوز" الـذي يجاوز فاعله إلى مفعول واحد أو مفعولين .
- أحياز تم تضييقها عن النحو المألوف سواءً للقاصر أو المجاوز.
- أحياز تم توسيعها للفعل القاصر والمجاوز أيضاً.
- أحياز تم تضييقها وتوسيعها معاً.

وسيعرض البحث إن شاء الله – لذلك بشيء من التفصيل والاختصار كما يلي:

* قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة الأقصى – غزة – فلسطين.

أحياز الأفعال في بعض مرثيات القائد الرمز...

أولاً: أحيازٌ على النحو المألوف:

قام الشعراء في رثائهم للقائد الرمز أبي عمار في الأشعار محل الدراسة باستخدام الأفعال بحيّزها أحياناً على النحو المألوف.

فاستخدموا الفعل القاصر مقتصراً على فاعله حوالي ثمانٍ وتسعين مرة واستخدموا المجاوز لمفعول واحد بحيزه المألوف فاعل ومفعول واحد ثمانيَ وخمسين ومائة مرة.

واستخدموا المجاوز لمفعولين بحيزه المألوف أيضاً (فاعل ومفعولين اثنين) خمس عشرة مرة، وما وجدت في هذه الأشعار من الأفعال ما جاوز الثلاثة من المفاعيل، ومما استخدم بحيزه المألوف:

1- مع الفعل القاصر:

قول "صادق ابسيسة" في قصيدته " النواح لا يجدي" [2] :

انهضوا لا وقتَ للحزنِ فما يُجدي النُّواحْ

وقوله:

انهضـــوا لا عاشَ مَنْ يَنْكَأُها تلكَ الجراحْ

وقول محمد الدسوقي في مطلع قصيدته "عظم المصاب وعمت الأرزاء" [3] :

عظُمَ المُصَابُ وعمَّتِ الأرزاءُ والموتُ حقٌّ والفراقُ قضاءُ

والكونُ أظلمَ والخطوبُ تتابعتْ والعيشُ مرٌّ والحياةُ بلاءُ

ماكدتُ أسمعُ بالفجيعةِ والأسى كفكفتُ دمعي... ناحتِ الورقاءُ

نجمٌ هو[4] والكونُ أظلّكَ نورُه وخبا الضياءُ وعمَّتِ الظلماءُ

ففي الأبيات أفعال قاصرة استعمل حيزها على الوضع المألوف من دون أن تجاوز فاعلها في العمل مثل انهضوا ، ما يجدي النواح ،عظم المصاب، عمت الأرزاء، الكون أظلمَ، الخطـوب تتابعت، ناحت الورقاء، نجم هوى، خبا الضياء عمت الظلماء. وكأن الشاعر في كلّ ذلك أعجزه هول المصيبة عن الإطالة والتفصيل في الكلام حيث عمت الظلماء ، وخبا الضياء ولا وقت للكلام والتفصيل فيه، ولذلك أكثر من الأفعال القاصرة استخداما في الأشعار محل الدراسة ما كان حيـزه يقتصر على الفاعل دون توسيع .

2- وأما مع الفعل المجاوز لمفعول واحد:

فمثال: قول الشاعرة سلوى سعيد [5]:

فامتشقْ مقلاعَك السحريَّ! ...
واملأ الساحاتِ فرساناً ...
روحُه ما فارقتْ وطناً
ولا اختارتْ بديلا

وقولها أيضاً:

لا، لا تُفاوضْ يا أخي العربي!
هم قتلوا رسولَكَ يا أخي
صلبوا مسيحَك يا أخي
حلّلوا دمَه الحرام
وهم أباحوا الطعنَ في الأديان
حتى مزّقوا القرآنَ والإنجيلا

حيث إن الشاعرة في قصيدتها هذه بمستواها الجيد من بين القصائد كثر فيها استخدام الفعل المجاوز بحيزه المألوف فاعل ومفعول واحد من ذلك " امتشق مقلاعك، واملأ الساحات فرساناً، ما فارقت وطناً، ولا اختارت بديلاً، قتلوا رسولك، صلبوا مسيحك، حللوا دمه، أباحوا الطعن ..."

فالشاعرة تتابع لديها وتيرة الأفعال المجاوزة لمفعول واحد تستخدمها هنا متتابعة بحيز واحد: فعل مجاوز لواحد فاعل ومفعول، صورة وتعود مرة ومرة لتستخدم نفس الصورة وكأنه قرع النواقيس والإيقاع المتزامن بوتيرة الأفعال بحيزها المألوف دون التطويل فيه الذي يحذر من مصيبة كبرى قد تم الوقوع فيها .

امتشق مقلاعك السحري، واملأ الساحات فرساناً، هم قتلوا رسولك صلبوا مسيحك ... لا تفاوض يا أخي العربي.

3- وأما مع الفعل المجاوز مفعولين بحيزه المألوف:

فقد استخدمه الشعراء في مواضع متفرقة من قصائدهم من ذلك:

قول عبدالله فنون في قصيدة "رمز الصمود" [6] :

وهمو بحبّك خلّصٌ ويَروْكَ أفضلَ مَنْ يقود

وقول سهام العارض في قصيدتها بالليلة القدر [7] :

ها أنتَ صقرٌ في ممالكِ مثلما كنتَ الرفيعَ وتسقي خصمكَ العَطَبا

وقول زينب حبش من خلال وصفها علاقة الرئيس الفرنسي شيراك بالرئيس عرفات الذي يرقد في فراش الموت[8] :

في المرةِ الأولى
حاول جَاهداً أن يمنحَك أكسيرَ الحياة ...
يَحِقّ لك أن تبتسمَ أيها الرئيس
فقد منحك صديقُك الفرنسي
الدولةَ التي بها حَلمت ....

ومنه قول محمود أبوالهيجا في مرثيته الطويلة [9] :

فكنتَ اليقينَ الذي لا يَرضَى شروداً
حتى صار يقينُك إلى عيني
وناصبتْك العداءَ أحلافُ بني قريظة ...

فالشعراء هنا في رثائهم استخدموا الفعل يجاوز فاعله إلى مفعولين " يروك (بقلوبهم) أفضل... ، تسقي خصمكَ العطَبا، يمنحك أكسيرَ الحياةَ، منحك الدولة، ناصبتك العداء...".

وكأن الشعراء هنا يختارون أفعالاً ذات حيِّز أكبر تجاوز مفعولين لتوائم عواطفهم ورثاءهم دون أن تقلل من وتيرة الكلام والعاطفة، فهم كمن يختصر فعلاً بجعلهم الفعل يجاوز مفعولين.

ثانيا: أحياز تم تضييقُها:

فقد استخدم الشعراء الأفعال أيضاً في هذه المرثيات بأحياز تم تضييقها عن النحو المألوف سواء مع الفعل القاصر أو المجاوز.

1- تضييق حيز الفعل القاصر:

الفعل القاصر في استخدامه الطبيعي ضيق الحيز فهو مقصور على الفاعل دون أن يجاوزه للمفعول، ولذلك فإن تضييق حيزه أمر صعب الوقوع عقلاً إذ تقليل القليل يوصل إلى شبه المستحيل، وعليه فإن استخدام الشعراء للقاصر بحيز ضيق في مرثياتهم جاء قليلاً فقد وقع في المرثيات محلّ الدراسة ثلاث مرات كانت فيها وسائل الشعراء لتضييق حيز القاصر أضيق حيث استخدموا لذلك وسيلتين اثنتين هما:

أ- تضييق حيز القاصر بـ "ما" الكافة:

ف "ما" الحرفية الزائدة قد تلحق الفعل القاصر فتكفه عن عمل الرفع وذلك مع ثلاثة أفعال: قلَّ، وكثر، وطال[10] ومما ورد من ذلك في مرثيات القائد الرمز قول الشاعرة زينب حبش [11]:

لقد كانتْ شهادةُ المحبةِ والتقدير
من شعبِك العظيم
هذا الشعبُ الذي طالما وقف معك

ومنه أيضاً قول محمود أبوالهيجا [12] :

يا ويحَ عُمْري ما الذي أضرَّني ...!
والأيام حُبْلى
طالما كانت بين يَديْك
ماذا ستَلِدُ غيرَ كفني...!

حيث إن الشاعرين هنا في قولهما (طالما وقف معك)، (طالما كانت بين يديك)، قد استعملا الفعل القاصر "طال" وبعده "ما" الحرفية الزائدة تكفه عن العمل حتى لم يستطع أن يرفع فاعلاً ووليه فعل آخر وقف، كانت ليعلن عن ذلك، ولعلّ هذا الكبت للفعل القاصر، وهذا الكف عن العمل في الفاعل الذي هو ديدن كل فعل له دلالته فيما يعتري نفسية الشعراء من حزن وضياع وكبت لجلل الموقف وهول المصيبة.

ب- تنازع الفاعل:

الوسيلة الثانية التي استعملها الشعراء في مرثياتهم لتضييق حيز الفعل القاصر لمنعه من رفع فاعله الظاهر هي تنازع[13]: فعلين قاصرين فاعلاً واحداً مثلما جاء في شعر وجيه سالم في قصيدته "بان الضياء" قال [14] :

بانَ الضياءُ وغيّبَتْ ظلماتٌ ... وسماً شريفاً شامخاً عرفاتْ
وبدا نقياً طاهراً أثوابُه ... وقد انجلتْ وتبدّدتْ شبهاتْ

ففي قوله "انجلت وتبددت شبهات" تضييق لحيّز الفعل القاصر "انجلت" حيث أضمر الشاعر فاعله بسبب التنازع، ذلك لأن كلا من الفعلين القاصرين في قوله "انجلت وتبددت" يطلب "شبهات" فاعلاً الشاعر أظهر فاعل الثاني وضيّق حيز الأول ولعل هذا التداخل في عمل الفعلين القاصرين "انجلت" و "تبددت" ناتج عن تداخل الأمور في نفسيّة الشاعر الذي يعاني جلل المصيبة والفراق.

2- تضييق حيّز الفعل المجاوز:

لأن حيز الفعل المجاوز أطول وأوسع من حيز القاصر ذلك أنه يشمل فاعلاً ومفعولاً أو مفعولين أو ثلاثة مفاعيل فتضييقه أيسر وأسهل من تضييق حيز القاصر.

ومن خلال النظر في مرثيات القائد الرمز محل الدراسة فإن الشعراء قد قاموا بتضييق حير الفعل المجاوز الذي يقع على مفعول واحد أو الذي يقع على مفعولين، ولم أجد فيما وقع لي من القصائد محل الدراسة ما جاوز ثلاثة مفاعيل.

تضييق حيز الفعل المجاوز لمفعول واحد:

فقد وجدتهم استعملوه في تسع وعشرين مرة بوسيلتين اثنتين هما:

أ- بناؤه للمجهول :

ففي عشر مرات في المرثيات محل الدراسة قام الشعراء بتضييق حيز الفعل المجاوز الذي يقع على مفعول واحد ببناء الفعل للمجهول ومن ذلك قول محمد الدسوقي في قصيدته عظم المصاب [15] :

مهلاً أباعمارٍ لينكَ تُفتدَى ... هل يُفتديك قصائدٌ ورثاءُ
لو كنتَ تُفدَى لافتديتُك طائعاً ... لكنّ قضاءَ اللهِ ... نِعْمَ القضاءُ

ومنه أيضاً قول سليم النفار في قصيدته أيه فلسطين [16] :

للموتِ غايتُه
وسطوتُه، ودورتُه ... ولكنّ الذي يُبكَى
نفادُ المِلح من صحنِ الخؤونْ

ومنه أيضاً قول الشاعر زياد مبسلط في مرثيته القوية لأبي عمار [17] :

لن أكتبَ شعري حزناً ورثاءْ ياسرُ لن يُرثى الأحياءْ

ومثله قول الشاعر أحمد دحبور في قصيدته وداع الرجل الكبير [18] :

قيل: استراحَ محاربٌ،
لكنّ مثلَك يستريحُ على السحابةِ
حينَ ينعقدُ الغبار

حيث إنّ الشعراء هنا في قولهم " ليتك تُفتدى، لو كنت تُفدَى، يُبكَى نفاد الملح في صحن الخؤون، لن يُرثى الأحياءُ، قيل استراح محارب" .

استخدموا بناء الفعل المجاوز مفعولاً للمجهول وسيلة لتضييق حيزه، ولذلك دلالة كبيرة في هذا المصاب العظيم، وفاة الرئيس الرمز، فلا يهمنا هنا الفاعل بل يهمنا التركيز على المفعول والفعل ولذلك تم حذف الفاعل وإحلال المفعول مرفوعاً محله ليصير في عرف النحاة عمدة ركناً لا يمكن الاستغناء عنه.

لا يهمنا الفاعل الذي يفتدي الرئيس، بل يهمنا أن يُفتدى الرئيس " فليتك تُفتدى، ولو كنت تُفتدى".

لا يهمنا من يبكي، بل يهمنا أن يُبكى نفاد الملح من صحن الخؤون، و لسنا ننزعج بمن يرثي القائد الرمز فلا يرثى الأحياءُ، ولسنا نكترث بمن يقول عنه استراح، ولذلك قيل استراح محاربُ.

ب- حذف مفعوله:

استخدم الشعراء في مرثيات القائد الرمز حذف مفعول الفعل المجاوز واحداً وسيلة لتضييق حيز الفعل المجاوز وذلك في تسع عشرة مرة، ومن ذلك:

قول إبراهيم غانم في قصيدته لن نركع [19] :

لـنْ نركـــع
لنْ نركعَ صدقا لنْ نركع
مادامَ فينا طفـلٌ يرضـع
نادينا قالـوا لم نسمـــــع.

ومنه أيضاً قول عبد الحكيم أبو جاموس في قصيدته غاب الفارس البطل [20] :

وفي "الكنانة" قد أوتيتَ مَكرُمة
تليقُ فيك فنِعْمَ القومُ ما فعلوا

ومنه أيضاً قول الشاعرة سلوى سعيد في قصيدتها كنعان لا يموت [21] :

لا ، لا تُفاوِضْ يا أخي،
هم يقتلونَك في الحروبِ وفي السلام،
لا لا تُفَاوِضْ يا أخي العربيّ !
هم قتلوا رسولَكَ يا أخي

فالشعراء في قولهم "طفل يرضع، نادينا ... لم نسمع، ما فعلوا، لا تفاوض" .
قاموا بتضييق حيز الفعل المجاوز واحداً فحذفوا مفعوله، لينصرف ذهن السامع إلى الفعل وحده، فلا يزعجنا ما الذي يرضعه الطفل، ولكننا لن نركع ما دام فينا طفل يرضع، بهذا العموم بسبب انفتاح الفعل الذي لم يقع على مفعول.

ولا يهمنا من المنادى، ولا ما المسموع ، ولكنّ المهمّ أنّنا نادينا بعموم النداء، وأنه لم يحدث سمع يقابله بالمطلق. وفي مصر الكنانة احتفوا بالرئيس عائداً من فرنسا فنعم القوم ما فعلوا بحذف المفعول، وعليه فالمدح ليس لشيء معين فعلوه وإنما لكل شيء فعلوه، فكل فعل لهم محمود. ولا تفاوض...لا تفعل هذا الفعل على إطلاقه لا تقربه لا تمارسهُ مع أحد عموماً لأنهم قتلوك قتلوا رسولك..... .

تضييق حيّز المجاوز لمفعولين:

استخدم الشعراء أسلوب تضييق حيّز الفعل المجاوز مفعولين في مرثياتهم محل الدراسة حوالي عشر مرات بوسيلتين اثنتين هما:

أ- حذف أحد المفعولين:

وقد وجدت ذلك في مرثياتهم حوالي سبع مرات منها:

حذف المفعول الأول في قول أمجد الصفدي [22] :

أعطيتَ ما استطعتَ أنْ تُعطي
أبيتَ أنْ تحيا بمعزلٍ عن حياةِ الشعب

ومنه أيضا قول محمود أبوالهيجا [23] :

وأُقسِمُ
خَطايَ في دروبِكَ ....
بقاؤُك هادياً تعلِّمُها وتعلِّمني
وأحلم

أحياز الأفعال في بعض مرثيات القائد الرمز...

ففي قول الصفدي " أعطيت ما استطعت " ضيّق حيز "أعطيت" المجاوز مفعولين فحذف مفعوله الأول وأبقى على الثاني "ما" ، والتقدير أعطيتنا ما استطعت، ولهذا الحذف فائدة كبيرة إذ إنه أدخل الفعل أعطى في عموم العطاء، فقد أعطى دون أن يهمه من الذي يأخذ.

وأما قول "أبوالهيجا" تعلمها وتعلمني فقد تم حذف المفعول الثاني وحذف المفعول الثاني هنا أدخل الكلام في العموم فما الذي تعلمه إنك تعلمنا كل شيء.

ب-حذف المفعولين معاً:

فالشعراء في المرثيات محل الدارسات استخدموا حذف المفعولين لتضييق حيّز الفعل المجاوز مفعولين، وقد وجدت ذلك ثلاث مرات هي:

قول سهام العارضة [24] :

زفّتك مصرُ إلى الأكوانِ نازفةً ... دموعَ صدقٍ على المجد الذي احتَجَبَا

قد جئتنا من فرنسا طائراً ألقا ... حُـرَّ الجنـاحِ بما أعطى ومـا وهبا

ومثله قول أمجد الصفدي في السابق :

أعطيت ما استطعت أن تعطي

حيث تم حذف مفعولي "أعطى، وهب، تعطي " فلا حاجة للمفعولين، وإنما التركيز على حصول الفعل، فقد جاء مصر من فرنسا طائراً ألقى حر الجناح بعطاياه، وهباته، وليس مهما لمن أعطى أو وهب، مثله مع الفعل "تعطي" الثالث.

ثالثا: أحياز تم توسيعها:

استخدم الشعراء في مرثيات القائد الرمز الأفعال القاصرة والمجاوزة مفعولاً واحداً ومفعولين، وقاموا بتوسيع أحيازها جميعاً على النحو التالي:

أ-توسيع حيز الفعل القاصر:

قام الشعراء في مرثياتهم القائد الرمز أباعمار بتوسيع حيز عمل الفعل القاصر بحوالي عشرين وسيلة أهمها توسيع حيز القاصر بالجار والمجرور وحده أو معه أمور أخرى، وتوسيع حيزه بالحال وحده، أو معه أمور أخرى، أو بالظرف وحده، أو معه أمور أخرى، وبالعطف، والبدل.

توسيع حيز القاصر بالجار والمجرور:

قام الشعراء في مرثياتهم بتوسيع حيز الفعل القاصر بالجار والمجرور وحده دون وسائل أخرى معه حوالي مائة وخمس مرات، وهذه الوسيلة أكثر استخداما لدى الشعراء في توسيع حيز الفعل القاصر، وذلك مثل:

قول عبدالله قنون في قصيدته رمز الصمود [25] :

وكأنّ روحَك في النزاع رَنَتْ إلى قدس الجدود
قاوَمَتْ نازِعَها بعنف منه قد ذَهَـلَ الشهود

وقول الشاعر أحمد دحبور [26] :

إن كنتُ أسقط في الزحام
فعطفُك الجبار يُسْنِدُني
... وتنامُ في مترين من قدسِ الحجارة والتراب ...
فيما القدسُ تسكنُ في عظامك
يشتدُّ حولَكما الحصار ...

ففي هذه الأبيات تم استخدام الجار والمجرور في قولهم "رنت" إلى قدس الجدود، منه قد ذهل الشهود، أسقط في الزحام، تنام في مترين، تسكن في عظامك، وسيلة لتوسيع حيز الفعل القاصر الذي ارتبط بالاسم بعده بحرف الجر، وكأن الفعل القاصر وحده مع فاعله لم يكفِ النفثة الشعرية فاحتاج حرف الجر ليوصله إلى الاسم ليكمل مراد الشاعر.

حذف حرف الجر مع الفعل القاصر:

وقد استخدم الشعراء مع حرف الجر بعد الفعل القاصر وسيلة أخرى لتوسيع حيز القاصر هي حذف حرف الجر مع نصب الاسم بعده على نزع الخافض، من غير استعمال وسيلة أخرى معه، مرتين وأربع مرات مع استخدام الحال مع الحذف، ومرة واحدة مع استخدام الظرف مع حذف حرف الجر.

ومن ذلك قول زينب حبش [27] :

هذا الحبُّ الكبير
الذي خفقتْ له جوانحُنا
وخفقت قلوبُنا صعوبةَ الموقف

ومنه قول محمود أبوالهيجا [28] :

وأحلـمُ
رؤايَ في حروفِك
رايةٌ ترفرفُ فوقَ أسوارِ المدينة

ومنه أيضاً قول الشاعر أحمد دحبور [29] :

لم تسكنِ القدسَ القريبةَ بعدُ
فيما القدسُ تسكنُ في عظامِك
يشتد حولكما الحصار

أحياز الأفعال في بعض مرثيات القائد الرمز...

هنا نجد الشاعرة زينب قد وسعت حيز الفعل القاصر "خفقت" ليصل الاسم "صعوبة" فينصبه على نزع الخافض فلم يقل لصعوبة الموقف، ليعطي ذلك دلالة كأن قلوبنا خفقاتها صعوبة الموقف هذه مجبولة بتلك لا تنفصم عنها.

وقول أبي الهيجا حذف فيه بعد الفعل القاصر "أحلم" حرف الجر الباء فتقدير الكلام "أحلم برؤاي" واستخدم بعد ذلك الحال وسيلة لتوسيع حيز الفعل القاصر "أحلم" الذي وصل حيزه الاسم " رؤاي" فعمل فيه بعد حذف حرف الجر، وعمل في جملة الحال "رايةٌ ترفرف فوق أسوار المدينة".

وقول الشاعر دحبور "تصور لم تسكن القدسَ" ، تقديره "في القدس" حذف حرف الجر وأوقع الفعل القاصر أسكن على القدس لتظهر كأنها بيت الرئيس الرمز يريد أن يسكنه، وثنى باستخدام الظرف فهو لم يسكن فيه بعدُ.

وسائل أخرى مع الجار والمجرور لتوسيع حيز القاصر:

-مع الحال:

وأكثر هذه الوسائل لتوسيع حيز الفعل القاصر مع الجار والمجرور الحال إذا استخدمها الشعراء في هذه المرثيات سبع عشرة مرة، من ذلك:

قول الشاعر يوسف شحادة في قصيدته مضى ركب الأحبة [30] :

على شِفاه السماءِ بأن الشفقُ الأحمر

معلنا العزاء، جميع القلوب خفقت وطفقت العيون بالدموع فسحت على الجفون بحرارة، تجمعت الكلمات في الأشدق راثية القائد العام وركب الأحبة واقفة صافنةً باكيةً في الطرقات في الهضاب في السهول، وعلى شفاه الأحرار عبارات وعبرات نطقت قائلة رحم الله أباعمار.

هنا مزيج من حروف الجر مع الحال مع تعدد الحال يعلن توسيع الشاعر حيز الفعلين القاصرين "بان، تجمعت".

فعلى شفاه السماء بان الشفق الأحمر معلناً العزاء، حرف الجر على يتعلق بالفعل القاصر "بان" موسعاً حيزه بالاشتراك مع الحال "معلنا" التي ينصبها الفعل القاصر.

تجمعت الكلمات في الأشدق راثية القائد العام ... واقفة صافنةً باكيةً في الطرقات في الهضاب في السهول وعلى شفاه الأحرار عبارات وعبرات نطقت قائلة رحم الله أباعمار.

علّق الجار والمجرور "في الأشدق" بالفعل القاصر "تجمعت" ليوسع حيزه ونصب به الحال "راثية" موسعا بها الحيز أيضاً، ثم عدّد الحال واقفة، صافنة، باكية، ويجوز أنه علق الجار فيما بعد "في الطرقات، في الهضاب، في السهول" بقوله باكيةً ويجوز أيضاً أنها تتعلق بالفعل "تجمعت" فالكلمات تجمعت في الأشدق في الطرقات في السهول في الهضاب حال كون على شفاه الأحرار عبارات وعبرات نطقت قائلة رحم الله أباعمار.

وكأنها وإن كانت قصيدة نثرية إلا أن هذا التركيب وهذه الموسيقى للمزاوجة في تعداد الجار والمجرور، والحال التي يوسع بها حيز القاصر هنا جمالاً في القصيدة يعطي دفقة شعرية يوسع فيها حيز الفعل القاصر "تجمعت" ليتحمل فوق طاقة حيزه الصغير من تعداد الجار والمجرور والحال ليواكب حزن الشاعر ونبضات ساعة إعلان العزاء بالقائد العام.

- مع الظرف:

يلي الحال في الاستخدام مع الجار والمجرور في توسيع حيز القاصر الظرف حيث استخدمه الشعراء في مرثياتهم ثلاث عشرة مرة ومن ذلك:

قول الشاعر دحبور[31] :

قيل استراح محارب
لكنّ مثلك يستريح على السحابة
حين ينعقد الغبار

وقال:

فيما القدس تسكن في عظامك
يشتدّ حولكما الحصار

فلم يترك الشاعر هنا الجار والمجرور وسيلة وحيدة لتوسيع حيز الفعلين القاصرين "يستريح، يشتد" لكنه مع الجار والمجرور "على السحابة" أضاف توسعة على حيز القاصر "يستريح" الظرف "حين".

ومع الجار في قوله: "فيما القدس" استخدم الظرف "حولكما" وسيلة أخرى لتوسيع حيز الفعل القاصر "يشتد" وقدم الجار والمجرور " فيما" على الفعل "يشتد" لإلقاء الأهمية على القدس .

فمكانته عالية يستريح على السحابة ليس في أي وقت ولكن في وقت الخطر حين ينعقد الغبار .

والقدس تسكن في عظامك وحناياه ليس في أي وقت ولكن فيما يشتد الحصار حوله، وحولها.

- مع العطف:

استخدم الشعراء أيضاً في مرثياتهم مع الجار والمجرور وسيلة لتوسيع حيز الفعل القاصر العطف سواء العطف على المجرور أو العطف على الفاعل، واستخدموا العطف على المجرور أو الجار والمجرور إحدى عشرة مرة، والعطف على الفاعل مرتين:

وذلك مثل قول حسين خليل حسين في قصيدته كيف انتهى أبو عمار [32] :

كيف انتهى والشعبُ يهتفُ باسمه في كل صبحٍ ناضرٍ ومساء؟
كيف انتهى والشعبُ يخرجُ كلُّه من أجلـه في عزةٍ وإبـاء؟

أحياز الأفعال في بعض مرثيات القائد الرمز...

حيث تم هنا توسيع حيز الفعل القاصر "يهتف" بالجار والمجرور "باسمه" في كل صبح ناضر وبالعطف على "صبح" جزءِ المجرور المضاف إليه قوله "ومساء"، وفي الثاني توسع حيز الفعل القاصر "يخرج" بالجار والمجرور "من أجله في عِزَّة" وبالعطف على المجرور الثاني "عِزة" قوله "إباء".

فالشاعر هنا وسع حيز الفعلين القاصرين ليشتملا على ما يحسّه من عاطفة تجاه القائد الرمز بأكثر من جار ومجرور ثم بالعطف عليهما إلحاقا بهما وكأنه يفعل ذلك ليجسد حيرته كيف انتهى أبوعمار والشعب عن بكرة أبيه يخرج من أجله يهتف باسمه في كل صبح ومساء في عزة وإباء!.

ومن العطف على الفاعل مع استخدام الجار والمجرور وسيلة لتوسيع الفعل القاصر قول محمد دسوقي [33] :

في جنةِ الخُلدِ اجتباك إلهُنا يزهو بها العلماءُ والشهداءُ

حيث وسع حيز الفعل القاصر "يزهو" بالجار و المجرور "بها" ثم عطف على الفاعل "العلماء" قوله "والشهداء"، فالله اجتباك إليه في جنة الخلد التي يزهو بها العلماء والشهداء، وقدم الجار والمجرور لإلقاء الأهمية على الجنة التي هو فيها.

ولعل هذه أكثر الوسائل التي استخدمها الشعراء في مرثياتهم مزاوجة مع الجار والمجرور في توسيع حيز الفعل القاصر، وإن كانوا قد استخدموا وسائل أخرى قليلة مركبة مع الجار والمجرور مثل المفعول المطلق مع الظرف، ومثل الحال مع العطف، والبدل مع العطف نترك التمثيل لها لعدم الإطالة.

واستخدم الشعراء وسائل أخرى منفردة أو متزامنة مع غيرها في توسيع حيز الفعل القاصر كان ورودها أقل تعداداً في الاستخدام الشعري، من ذلك:

توسيع حيز القاصر بالحال:

فقد استخدم الشعراء الحال وحدها مع الفعل القاصر وسيلة لتوسيع حيز عمله ثلاثاً وثلاثين مرة، ومن ذلك قول أمل قراعين [34] :

ستبقى عظيماً عظيماً في ذاكرتنا رغمَ أنفِ الطغاة ...

عشت عزيزاً أيُّها الختيار، ومت عزيزاً وسيبقى اسمك عزيزاً محفوراً في ذاكرة لا تنسى

ففي قولها تكرار عجيب لاستخدام الحال وسيلة لتوسيع أحياز الأفعال القاصرة المستخدمة، ستبقى عظيماً عظيماً مرغما أنف الطغاة، حال مكررة، وحال ثالثة "رغم" يجوز فيها التأويل والتفسير لتتبع الفعل القاصر " ستبقى" معبرة عن الأحوال المختلفة التي يتقلب فيها القائد .

"عشت عزيزاً، ومت عزيزاً، سيبقى اسمك محفوراً" ثلاثة أفعال قاصرة بعد الأول تم توسيع حيزها بالحال وكأنها صورة مدرّجة للقائد الرمز بالأفعال القاصرة التي تتدحرج نحو التوسع بالحال.

وإن كانت الحال هنا منفردة وسيلة من وسائل توسيع حيز الفعل القاصر، فإن الشعراء في هذه المرثيات زاوجوا معها وسائل أخرى تشترك معها في توسيع حيز القاصر، من هذه الوسائل غير الجار والمجرور المتقدم العطف مثل قول الشاعرة سلوى سعيد في رثائها أبا عمار كنعان لا يموت [35] :

فاخرجْ عليهم يا أخي
اخرجْ عليهم
كيف تَبْسُط كفَّك الدامي
لجزار مضت سكينُه
ذبحاً وتقتيلا ؟ !

فهي في قصيدتها ترى القائد الرمز لم يمت يوماً، وتحثنا بعده "اخرج عليهم كيف تبسط كفك الدامي لجزار مضت سكينه ذبحا وتقتيلا" توسَّع حيِّز الفعل القاصر "مضت" باستخدام الحال "ذبحاً" وبالعطف عليه "وتقتيلا" للمبالغة في إظهار شناعة ما يفعله العدو.

توسيع حيز الفعل القاصر بالظرف:

حيث استعمل الشعراء في مرثياتهم أيضاً الظرف وحده وسيلة من وسائل توسيع حيز الفعل القاصر فاستخدموه دون وسائل أخرى أربع عشرة مرة واستخدموا الظرف مع وسائل أخرى كالبدل والعطف والحال ثلاث مرات إضافة لاستخدامه المتقدم مع الجار والمجرور وسيلة لتوسيع حيز الفعل القاصر.

ومما جاء فيه الظرف وحده وسيلة لتوسيع حيز الفعل القاصر قول الشاعر زياد مبسلط [36]:

الكوفيّةُ ما رحلتْ
ومبادئُ ثورتِنا مارحلتْ
إشراقةُ ثوريٍّ بقيتْ
فوقَ مآذنِ الأقصى

ترنيمة كاملة جعل فيها الشاعر مبسلط الظرف "فوق" يوسع حيز الفعل القاصر "بقيت" فكوفية القائد لم ترحل، ومبادئ ثورته، وإشراقته بقيت فوق مآذن الأقصى.

ومن استخدامهم الظرف مع العطف والبدل قول الشاعرة أمل قراعين [37] :

حجمُ المأساةِ أكبرُ من حزننا وأعظمُ لحظاتٍ واختفى كلَّ شيءٍ حولي ...

أجواز الأفعال في بعض مرثيات القائد الرمز...

الصراخُ والعويلُ – آهاتٌ مجروحةٌ – وحشرجات.

تراكيب متداخلة بتداخل العواطف لعظم حجم المأساة تزامن وتلاق بين الظرف والبدل، والعطف في توسيع حيز الفعل القاصر "اختفى" ففاعله "كل شيء" ، ظرفه "حولي" بدل من الفاعل "الصراخ" عطف على البدل "العويل" ، بدل آخر من الفاعل "آهات مجروحةٌ" وعطف آخر على البدل "حشرجات" كل شيء اختفى حتى الآهات المجروحة والحشرجات الحاضرة الغائبة كأنها لم تكن، وكأن لم يبق سوى عدم.

ولعل البحث في هذا يكون قد عرض لأهم وسائل توسيع حيز الفعل القاصر.

أ- توسيع حيز الفعل المجاوز مفعولاً:

استخدم الشعراء في مرثياتهم القائد الرمز حوالي تسع عشرة وسيلة لتوسيع حيز الفعل المجاوز مفعولاً منها خمس وسائل رئيسية، والأخرى فرعيّة جاءت مساندة له الوسائل متزامنة معها في توسيع حيز المجاوز مفعولاً، يتضح ذلك بتفصيل الحديث عن هذه الوسائل:

توسيع حيزه بالجار والمجرور:

لعل أهم وسيلة استخدمها الشعراء في توسيع حيز الفعل المجاوز مفعولا واحداً الجار والمجرور حيث استعملوا هذه الوسيلة منفردة سبعين مرة واستعملوها مع وسائل أخرى إحدى وعشرين مرة، وزادوا حرف الجر في حيز المجاوز مفعولاً ثلاث مرات، ومما استعمل فيه الجار والمجرور وسيلة لتوسيع حيز المجاوز مفعولا قول نزيه حسونة في ملحمة الخلود [38] :

يا سيدي أسعفْ فمي
حتى أجسِّدَ فيك
ملحمةَ الخلود ...
عرفاتُ أسعفْ ريشتي
حتى أوشحَ فيك بعضَ قصائدي
حتى أُرتِّلَ فيك مزمورَ الثبات
عرفاتُ أسعفني لأنقشَ في ضريحِك صرختي
أنت الذي أتقنت صنعَ المعجزات

هنا نرى ثوباً موشحاً بالفعل المجاوز مفعولاً واحداً يتوسع حيزه بالجار والمجرور ليرسم الشاعر على صدر الثوب صورة عاطفة فاضت لهول المصاب "أسعف فمي حتى أجسد فيك ملحمة الخلود"، "أسعف ريشتي" حتى أرتل فيك بعض قصائدي، حتى أرتل فيك مزمور الثبات" ، أسعفني لأنقش في ضريحك صرختي ، وكأن هول المصيبة أسكت الشاعر فتراه يطلب العون على الكلام من القائد الشهيد الذي أتقن صنع المعجزات .

زيادة حرف الجر في حيز المجاوز مفعولاً:

ومنه في استخدام الشعراء قول عبدالله فنون [39] :

والناسُ في كلِّ الورى عرفوا بأنّك لن تسود
لكنّ شعبَك ظل بأمل في شفائِك والصعود

ومنه قول محمد دسوقي [40] :

ما كدتُ أسمعُ بالفجيعةِ والأسى كفَكفتُ دمعي ... ناحتِ الورقاءُ

حيث تم زيادة حرف الجر في حيز الفعل المجاوز مفعولا لتوسيعه، وذلك في قولهما "عرفوا بأنك ..." ، "وأسمع بالفجيعة" فالفعل "عرف" و "أسمع" كل منهما يجاوز مفعوله بنفسه لكن الشاعرين زادا مع المفعولين حرفي الجر الباء، وللزيادة في المبنى زيادة في المعنى، ولعلّ ذلك يوحي بالتأكيد على ما في نفوسهم عرفوا بأنك لن تسود، لكن شعبك يأمل في ذلك، وما كدت أسمع بالفجيعة حتى كفكفت دمعي.

ومن الوسائل الأخرى التي استخدمت مزاوجة مع الجار والمجرور لتوسيع الفعل المجاوز مفعولاً:

مع الحال:

فقد استخدمها الشعراء في مرثياتهم بالمزاوجة مع الجار والمجرور لتوسيع حيز المجاوز مفعولا اثنتا عشرة مرة، من ذلك قول سهام العارضة [41] :

زفتك مصرُ إلى الأكوان نازفةً دموعَ صدقٍ على المجد الذي احتجبا
قد جئتها من فرنسا طائراً ألقى حرَّ الجناح بما أعطى وما وهبا

حيث استعملت الفعل المجاوز مفعولا "زفتك" ووسعت حيزه بالجار والمجرور "إلى الأكوان" ، وبالحال "نازفة" واستعملت المجاوز "جئتها" ووسعت حيزه بالجار والمجرور "من فرنسا" ، وبالحال "طائراً" ، إطالة في حيز الفعل المجاوز، مفعول، وجار ومجرور، وحال وكأنها نفثات طويلة من الحزن يتم التعبير عنها بإطالة الأسلوب.

وإن استخدمت هنا الحال منفردة مع الجار والمجرور وسيلة لتوسيع حيز المجاوز مفعولا، فقد استخدمت أيضاً مع الجار والمجرور متزامنة مع العطف ومن ذلك قول الشاعر محمود أبوالهيجا [42] :

وحبُّنا قَدرٌ وطيفٌ
وفيضٌ من التكاتفِ وتعدُّد السنين
رعيتَه بالسهرِ
والعطايا من روحك
تجوبُ القواعدَ والمدن
فلا حمى تطالُه

حيث إن الشاعر وسع حيز الفعل المجاوز "رعيته" بالمفعول "هاء الضمير"، والجار والمجرور "بالسهر" ، وبالعطف "والعطايا" التي وصفها أنها من روحك، وبالحال الجملة "تجوب القواعد والمدن" ، وصلة طويلة اشتمل عليها حيز الفعل"رعى" لتشمل طول حياة القائد الرمز وتتسع لها من سهر وعطايا في رعاية حب الوطن فلا حمى تطاله.

الظرف والعطف:

ومما استخدم مع الجار والمجرور وسيلة مزاوجة لتوسيع حيز المجاوز مفعولا الظرف والعطف، فقد وجدت الظرف مرة واحدة ينفرد مع الجار والمجرور وأربع مرات مع العطف، ومن ذلك: شعر عبدالحكيم جاموس [43] :

ياقائدَ الركبِ، مَنْ للقدسِ يغمرُها
بالحبِّ والعطفِ حين الروح تنتقلُ

فقد وسّع حيز الفعل المجاوز مفعولا "يغمر" بالمفعول "ها" وبالجار والمجرور "بالحب" ، وبالعطف "والعطف"، وبالظرف "حين" ، وكأنه وسع حيز الفعل "يغمرها" الواقع على القدس ليدلل على مدى سعة غمر القائد الرمز للقدس التي حلم بها عاصمة الدولة الفلسطينية.

توسيع حيزه بالحال:

استخدم الشعراء في مرثياتهم الحال وسيلة لتوسيع حيز الفعل المجاوز مفعولا ثلاثاً وثلاثين مرة، ومن ذلك قول الشاعر أحمد دحبور [44] :

واليومَ أذكرُ أنه عمرٌ ذرفْنا نصفَه حلماً،
نزفنا نصفَه أملا

حيث وسع الشاعر حيز الفعل المجاوز "ذرفنا" بالمفعول "نصفه" وبالحال "حلما" ، ووسع حيز "نزفنا" بالمفعول "نصفه" وبالحال "أملا" فقد ذرفنا نصفه العمر حالمين، ونصفه آملين.

توسيع حيزه بالظرف:

حيث استخدم الشعراء في مرثياتهم الظرف منفردا وسيلة أخرى لتوسيع حيز الفعل المجاوز مفعولا وقد حدث ذلك خمس عشرة مرة، ومن ذلك قول سامي أبوعون في قصيدته لقاء[45] :

نقشتَ ألوانَ لحظاتك فوقَ وسائدي البعيدة
أذبْتَ المسافاتِ
بينَ يديك

حيث وسع حيز الفعل المجاوز " نقشت" بالمفعول "ألوان" وبالظرف "فوق" ووسع حيز الفعل المجاوز "أذبت" بالمفعول "المسافات" وبالظرف "بين" ، فبالظرفين مرة يصل الفعل بنفسه

نقشت ألوان لحظاتك فوق وسائدي البعيدة، وفي المرة الثانية يربط الفعل بالقائد "أذبت المسافات بين يديك" وكأنه لا فرق بين الشاعر وقائده إيحاء بامتزاج روحيهما.

ومن الوسائل التي جاءت مزدوجة مع الظرف في توسيع حيز المجاوز مفعولا مجيء الظرف مع الحال مرتين ومجيئه مع العطف مرتين، ومن ذلك قول سهام العارضة [46] :

أرسلتَ قبلكَ آلافاً مؤلفةً شهداءَ قد أنبتت أرواحُهم غضبا

حيث وسعت حيز الفعل "أرسلت" بالظرف "قبلك" ، وبالمفعول "آلافا" ، وبالحال "شهداء" لتظهر بطول حيز الفعل "أرسلت" مدى طول اهتمام القائد بالثورة وتحريضه للمقاومين الذي أرسلهم آلافاً مؤلفة شهداء.

ومن مجيء الظرف مع العطف قول إبراهيم أبوالهوى [47] :

فقدنا اليومَ عنواناً فقدنا اليومَ عملاقاً

فقدنا اليومَ مصباحاً ونبراساً عرفناه

فإذا كان الشاعر في البيت الأول وسع حيز المجاوز" فقدنا" مرتين بالظرف "اليوم" ، وبالمفعول "عنوانا"، و"عملاقاً"، فإنه في البيت الثاني: وسع حيز الفعل "فقدنا" بالظرف "اليوم"، وبالمفعول "مصباحا" ، وبالعطف على المفعول" نبراساً"، كل ذلك التوسيع لحيز هذه الأفعال ليتسع المقام لبيان الذي فقدناه برحيل القائد الرمز فقدنا عنواناً وعملاقاً، ومصباحاً ونبراساً.

توسيع حيز المجاوز مفعولا بحلول جملة محل مفعوله:

استعمل الشعراء في هذه المرثيات أسلوب توسيع حيز الفعل المجاوز مفعولا بإحلال جملة محل المفعول سبع عشرة مرة منها أربع مرات مع العطف على هذه الجملة، وثلاث مرات مع البدل منها، ومن أجمل ما جاء من ذلك قول الشاعر أحمد دحبور [48] :

ونضجُّ حولَكَ بالسؤالِ: تَكاثَرَ الموتى وقلَّ المؤمنون،

تُجيبُ: إنَّ القدسَ أعطتكَ العلامة،

إنّ ربَّك قال: ننصرُ جندَنا

ونقولُ: تدركُنا نصالُ الأقربين

تردُّ: سوفَ يَرُدُّها قدسُ العباءة، فالعباءةُ عندنا

ولَكَمْ جُرِحْتَ فلم تَصِحْ: يا وَحْدَنا

بل قلتَ ياسَمْحَ المحيا:

عربيةٌ هذي الهموم،

ولم أبعْ أهلي وإن ضنُّوا عليّا

احياز الافعال في بعض مرثيات القائد الرمز...

ففي هذه الأبيات يعرض الشاعر موقفين يقارن فيهما بين موقف القائد الرمز أبي عمار بهدوئه وثباته وقوميته، وبين من يستعجلون حوله لصعوبة الموقف يضجون بالسؤال له تكاثر الموتى وقل المؤمنون، فما جواب الرئيس الرمز؟

استعمل الشاعر لجوابه الفعل المجاوز "تجيب" ، ووسع حيزه بإحلال جملة محل مفعوله وهي "إن القدس أعطتك العلامة" هذا جوابه، وكثيراً ما كان يجيب: "إن ربك قال: ننصر جندنا" ولذلك فهذه الجملة بدل من الجملة التي حلت محل المفعول السابق، أوفق للدلالة، وأفضل للمعنى من أن تكون بدلاً أو تفسيراً للعلامة.

ثم إن الشاعر أيضا وسع حيز الفعل المجاوز "قال" بإحلال الجملة "ننصر جندنا" محل المفعول به ، وكذلك الفعل "نقول" توسع حيزه بالجملة "تدركنا نصال الأقربين" فقد جعلها الشاعر مفعولا للفعل " نقول " والفعل " قلت " توسع حيزه بالجملة "عربية هذي الهموم" وقد عطف الشاعر عليها تكملة لقول الرئيس " ولم أبع أهلي وإن ضنوا عليا".

أفعال مجاوزة مفعولا تتابعت لدى الشاعر موسعا حيزها بإحلال جملة كاملة محل مفعولها مع العطف عليها أو البدل منها، جنوح للتطويل في الكلام يَسَعُ نفثات صدر الشاعر يحدثنا عن همومِه همومِ القائد الرمز أبي عمار وكيف كان يعالجها.

ج- توسيع حيز المجاوز مفعولين:

الفعل المجاوز مفعولين حيزه واسع على طبيعته لكنّ الشعراء في مرثياتهم القائد الرمز وسّعوا حيزه قليلا واستخدموا لذلك سبع وسائل كان استخدامهم الشعري لها قليل الإحصاء، ومن ذلك توسيعهم حيز المجاوز مفعولين بالجار والمجرور أربع مرات وبالحال مع الظرف مرة واحدة، وبالبدل مرتين، ومن ذلك قول عبدالحكيم أبوجاموس في قصيدته غاب الفارس البطل [49] :

حبتك مصرُ حناناً من محبتها

حيث وسع الشاعر حيز الفعل "حبت" بالمفعولين "كاف الضمير" والثاني "حنانا"، وبالجار والمجرور "من محبتها"، فقد حبتك مصر من محبتها حناناً، وكأنه اختار توسيع حيز الفعل هنا وإطالته مماثلة لطول عطاء مصر ومحبتها القائد الرمز.

ومنه أيضاً قول نزيه حسونة [50] :

يا أيها الفذُّ الأصيلُ

إني أراكَ الحيَّ .. وحدَك بيننا

فالشاعر هنا اختار توسيع حيز الفعل المجاوز مفعولين "أرى" بالمفعولين:الأول "كاف الضمير"، والثاني "الحي" ، وبالحال "وحدك" وبالظرف "بيننا" فهو خطاب للقائد الرمز الفذّ الأصيل

يبتغي منه الإطالة حتى يكون الشاعر مع حبيبه في خطابه أطول فترة ممكنة، ولذلك كان توسيع حيز الفعل الموسع بالمفعولين، وبالحال، والظرف ملائماً للمقام.

ومنه قول الشاعرة زينب حبش عن الرئيس الفرنسي[51] :

ومنحَنَا نحن الفلسطينيين

هذا الحبَّ الكبيرَ

الذي خفقت له جوانحُنا

حيث إن الشاعرة وسعت حيز الفعل " منح " ليشمل المفعول الأول " نا المفعولين " ،والتوكيد اللفظي له بالضمير " نحن " ، وبالمفعول الثاني " هذا " ، وبالبدل منه "الحب" يتبعه نعتان له " الكبير" ، و" الذي " تلي النعت الثاني جملة الصلة " خفقت له جوانحنا " ، كل هذه الإطالة في حيز الفعل " منح" كأنها إيحاء من الشاعرة بعظم هذا الحب الذي منحه الرئيس الفرنسي للرئيس عرفات ، والشعب الفلسطيني أيضا .

وهناك نوع آخر من وسائل توسيع حيز الفعل المجاوز مفعولين في مرثيات القائد الرمز وهو استبدال المفعولين جملة أو استبدال أحدهما، فقد ورد في المرثيات استبدالهما معا بجملة ثلاث مرات، واستبدال الثاني وحده جملة أربع مرات.

ومن ذلك قول الشاعر أحمد دحبور [52] :

ما جئتُ أقترفُ العزاء

ولن تواسيَني ابتسامتُك الندية

بل أرى كم لا أرى ألقَ المسدسِ في حزامِك

فالعزاء في الرئيس عرفات أو العزاء عنه جريمة عند الشاعر أو أمر محرمٌ ولذلك يقول "ما جئت أقترف العزاء" فلن تواسيه بعد ابتسامة القائد الندية، حرمانٌ طويل برحيل القائد الرمز يناسبه إطالة وتوسيع في حيز الفعل المجاوز مفعولين "بل أرى" ليحل محل مفعولين والرؤية هنا بقلب الشاعر جملة طويلة هي "كم لا أرى ألق المسدس في حزامك" .

وأما عن استبدال المفعول الثاني جملة فمنه قول حسين خليل حسين [53]

لم يرهبِ الظلماتِ عبرَ دروبِنا بل راحَ يمخُر في دجى الظلماءِ...

حتى رأينا الفجرَ يرقصُ ضاحكاً وغدا اسمُنا في الكون كالجوزاءِ

حيث قام الشاعر بتوسيع حيز الفعل المجاوز مفعولين "رأينا" بالمفعول الأول "الفجر" واستبدل المفعول الثاني بجملة "يرقص ضاحكا" وكأنه يبغي من ذلك زيادة سعة الفعل "رأينا" الذي يعبر به عن رؤيته منجزات القائد الرمز الذي لم ترهبه الظلمات فراح يمخر في دجى الظلماء رغم

الصعاب حتى رأينا بمنجزاته الفجر يرقص ضاحكا، وغدا اسمنا في الكـون ظـاهراً كـالجوزاء، وكأنها سعة في المنجزات يقابلها ويناسبها سعة، وتوسيع في حيز الفعل الذي يعبر عن ذلك.

رابعاً: أحياز تم تضييقها وتوسيعها معاً:

أسلوب آخر برز في الاستخدام الشعري في مرثيات القائد الرمز لأحياز الأفعال، فقد قام الشعراء باستخدام الفعل مع تضييق حيزه من جهة وتوسيع حيزه من جهة أخرى ولهذا نوع مـن الجمـال يبرز في التضاد في حيز الفعل، وأكثر ما ظهر ذلك في حيز الفعل المجاوز مفعولا واحدا، وأقـل منه كثيراً في حيز الفعل المجاوز مفعولين، ولم أجد ذلك مع الفعل القاصر.

1- تضييق حيز المجاوز مفعولا وتوسيعه معا:

من خلال النظر في الأشعار محل الدراسة لهذا الأسلوب في حيز الأفعال المجاوزة مفعولا يتضح أن مع توسيع الحيز هناك ثلاث وسائل للتضييق هي: بحذف المفعول، أو بالتنازع، أو ببناء الفعـل المجهول.

وأن الوسيلة الرئيسية مع التضييق للتوسيع هي الجار والمجرور ومعه أشياء أخرى مـن الحـال والظرف والعطف، وعليه فوسائل تضييق حيز الفعل المجاوز مفعولا مع توسيعه كالآتي:

أ- تضييق بحذف المفعول وتوسيع بالجار والمجرور:

قام الشعراء في المرثيات محل الدراسة بتضييق حيز الفعل المجاوز مفعولا بحذف مفعوله وفي الوقت نفسه وعلى العكس من ذلك قاموا بتوسيع حيز الفعل نفسه بالجار والمجـرور منفـرداً خمس مرات، أو بالجار والمجرور ومعه وسائل أخرى للتوسيع من الحال والعطف والظرف خمس مرات أيضا.

ومما حذف فيه من حيزه المفعول، وتوسع حيزه في الوقت نفـسه بالجـار والمجـرور منفرداً، قول الشاعر أحمد دحبور [54]:

لم يَدعُني صوتُ المعزّي
بل أتيتُ لأنحني في حضرةِ الأيام

حيث تم تضييق حيز الفعل المجاوز مفعولا " أتيت " بحذف مفعوله ، وتقدير الكلام : بل أتيتك ، ثم قام الشاعر من ناحية أخرى بتوسيع حيزه بحرف الجر " اللام " وبـالمجرور المـصدر المؤول المكون من "أن" المضمرة والفعل "أنحني" ، وهذا التضييق والتوسيع مناسـب أي مناسـبة للدلالة المقصودة من البيت، فالشاعر لا يقوى أن يقول للرئيس الرمز ساعة الوفاة أتيتك وهو آتيه لا يطاوعه قلبه على ذلك فيحذف المفعول مضيقا حيز الفعل المجاوز "أتيت" وموسعا هـذا الحيـز بالجار والمجرور مبينا الغرض من الإتيان، بل أتيت لأنحني في حضرة الأيام.

فوق ذلك لهذا الأسلوب جمال يبرز من التضاد، تضييق لحيز الفعل بحذف مفعوله، وتوسيع له بالجار والمجرور.

ومن أمثلة استخدام وسائل أخرى مع التضييق بحذف المفعول للتوسيع بالجار والمجرور قول الشاعر دحبور في نفس القصيدة [55]:

اليومَ، والنقشُ الفلسطينيُّ ضوءٌ في رخامِك!
اليومَ، والشمسُ الوفيَّة
منذُ نصفِ الليلِ، أقربُ ما تكونُ إلى مقامِك
ما جئت أقترفُ العزاء

فإن الشاعر هنا أوجد أيضاً تضاداً في حيز الفعل المجاوز مفعولا "جئت" حيث عمل على تضييقه من ناحية بحذف مفعوله، والتقدير "ما جئتك" وعمل على توسيع هذا الحيز من ناحية أخرى بالظرف "اليوم، واليوم" وبجملتي الحال "والنقش الفلسطيني ضوء...، والشمس الوفية أقرب ما تكون إلى مقامك".

فهو أيضا هنا لا يقوى على التصريح بالمفعول، وكأنه لا يذكره لكي لا يتذكر هول المصيبة ويجنح لتوسيع حيز الفعل "جئت" مبتعداً بالظرف والحال ليصف في هذا اليوم العصيب حال من جاءه، وحاله أيضاً "ما جئت أقترف العزاء".

ب – تضييق بالتنازع وتوسيع بالجار والمجرور:

حيث يذكر الشاعر الفعل يتبعه الجار والمجرور ويعطف عليه غيره ثم يتبع ذلك بالمفعول، وذلك قول الشاعر نزيه حسونة [56] :

يجسّدُ الخلود
ويكتبُ في دمائه
ويكتبُ في حياتِه
ويكتبُ في مماتِه
قصيدةَ الوجود

فهذه الأبيات لحمة واحدة محبوكة الأطراف ضيق فيها الشاعر حيز الفعل "يكتب" من جانب ووسّعه من جانب آخر، وسعه بالجار والمجرور فالقائد يكتب في دمائه، يكتب في حياته، يكتب في مماته، كتابة تختلف في الدماء عن الحياة عن الممات لكن نتيجة الكتابة واحدة هي قصيدة الوجود ، ولذلك كان التضييق في حيز الأفعال الثلاثة "يكتب" بالتنازع لتطلب كلّها "قصيدة الوجود" على أنها مفعول به.

ج- تضييق بالبناء للمجهول وتوسيع بالجار والمجرور:

عمل الشعراء بهذا الأسلوب على تضييق حيز الفعل المجاوز مفعولا ببناء الفعل للمجهول وتوسيع حيزه في نفس الوقت بالجار والمجرور منفرداً، اثنتي عشرة مرة، وبالجار والمجرور ومعه أمور أخرى من العطف أو الظرف أو الحال أربع مرات، ومما جاء فيه الفعل يضيق حيزه ببنائه للمجهول، ويتوسع بالجار والمجرور منفرداً قول الشاعر إبراهيم أبوالهوى [57] :

وكم في الحقِّ قد سُمعتْ بظُلم الليلِ فتواه ...
ومهما صِيغ من بِدَعٍ ومهما حيكَ من بدع
يظـل صمودُه مثلا فكـلُّ الكونِ حياهُ

فالشاعر هنا من جانب ضيق حيز الفعل "سُمعت" ببنائه للمجهول بحذف فاعله، وإسناد الفعل للمفعول "فتواه" ليصير نائباً عن الفاعل وفي نفس الوقت وسع حيز الفعل بالجار والمجرور "بظلم الليل".

وضيق الشاعر حيز الفعلين المجاوزين مفعولا "صيغ"، و"حيك" ببنائهما للمجهول، ووسع حيزهما بالجار والمجرور " من بدع ".

فعل الشاعر ذلك مناسبٌ للمعنى، فلا يهمنا كثيراً تحديد فاعل لقوله "يسمع فتواه" ، بل تبقى على العموم فالكل يسمع فتواه بظلم الليل.

ولا يهمنا من يصوغ البدع أو يحوكها، ولكن يهمنا صمود القائد الرمز، وبقاؤه المثل الذي يحتذى مهما اشتدت الظلم، ولذلك ضيق الشاعر من جانب ووسع من جانب في حيز الفعل.

ومما جاء فيه الفعل المجاوز مفعولا يضيق حيزه ببنائه للمجهول، ويتوسع بالجار والمجرور، ومعه وسائل أخرى من الحال أو العطف أو الظرف قول الشاعر عبدالحكيم أبوجاموس[58] :

قد هزَّنا الريحُ، ويحي أيُّها الجبلُ
وأُثخِنَتْ بالدما، والأدمعِ المقلُ

وقوله مرتين أيضاً [59] :

إليكَ تُرفَع فخراً كلُّ ألوية
فكيف طِقْتَ (وداعاً أيها الرجلُ) ؟!

حيث ضيق الشاعر في الأول حيز الفعل المجاوز مفعولا "أثخنت" ببنائه للمجهول، ووسع حيزه بالجار والمجرور " بالدما"، وبالعطف معه "والأدمع" ، وكأن الشاعر لا يستطيع ذكر المصاب الجلل الذي لأجله دميت المقل والأدمع، فضيق حيز الفعل بحذف فاعله فبناه للمجهول وذكر أثر هذه المصيبة الذي يدل عليها فوسع لأجله بعد التضييق حيز الفعل بالجار والمجرور فقال "وأثخنت

بالدما والأدمع المقل"، وفي قوله الثاني: ضيق حيز الفعل المجاوز مفعولا "ترفع" ببنائه للمجهول، ووسع حيزه بالجار والمجرور "إليك" وبالحال مع التأويل "فخراً" أي ترفع مفتخرة بك أو مفتخرين بك، ولا يهمنا من يرفع فالمهم أنها ترفع إليك مفتخرة، ولذلك ضيق حيز الفعل ببنائه للمجهول ليختصر غير المهم، ووسع حيزه بالجار والمجرور، والحال وهو المهم.

2- تضييق حيز المجاوز مفعولين وتوسيعه معاً:

استخدم الشعراء أيضا مع الفعل المجاوز مفعولين في حيزه أسلوب التضييق والتوسيع معا، وقد وجدت ذلك في مرثياتهم قليلا جدا، وله وسيلتان فقط هما:

أ. تضييق ببناء الفعل للمجهول، وتوسيع بالجار والمجرور:

حيث تم استخدام هذه الوسيلة مع الفعل المجاوز مفعولين فحدث تضييق في حيزه ببنائه للمجهول من ناحية، ومن ناحية أخرى توسع حيزه بالجار والمجرور، وجدت ذلك في مرثياتهم محل الدراسة مرتين، وذلك قول عبدالحكيم أبوجاموس [60] :

وفي الكنانةِ قدْ أوتيتَ مَكْرُمَةً
تليقُ فيك فنِعْمَ القومُ ما فعلوا

فقد ضيق الشاعر حيز الفعل "أوتيت" المجاوز مفعولين ببنائه للمجهول، ووسع حيزه بتعليق الجار والمجرور " في الكنانة" به، تضييق يُدخل الكلام في العموم فليس أحدهم فقط في الكنانة آتاك مكرمة بل كلهم دون استثناء يستفاد ذلك من بناء الفعل المجهول فلم يصرح بالفاعل ليفهم ذلك، ووسع حيز الفعل بالجار والمجرور ليفهم أن إيتاءك المكرمة تم في الكنانة.

ب-تضييق بحذف المفعولين، وتوسيع بالجار والمجرور:

أسلوب آخر تم استخدامه في هذه المرثيات في حيز الفعل المجاوز مفعولين، وذلك بتضييق حيزه بحذف مفعوليه من جهة، ومن جهة أخرى بتوسيع حيزه بالجار والمجرور حدث ذلك في شعر أمجد الصفدي، في قوله [61] :

يا مَنْ علَّمنا كيف نحيا أحراراً وكيف نُضحِّي
يا مَنْ أعطى في زمنٍ لا عطاءَ فيه

حيث إن الشاعر ضيق حيز الفعل المجاوز مفعولين "أعطى" بحذف مفعوليه معاً، ووسع حيزه بالجار والمجرور "في زمن" وقام بوصف المجرور بالجملة " لا عطاء فيه" ، مما أدى إلى إنتاج دلالة لم تظهر إلاّ بالتضاد في هذا الأسلوب تضييق يليه توسيع فقد حذف مفعولي "أعطى" لأنه ليس من المهم نوع العطاء، ولا مَنْ وقع عليه العطاء، إنما المهم أن القائد الرمز أعطى بلا حدود للعطاء، ومتى كان هذا العطاء؟ في زمن لا عطاء فيه.

الخاتمة:

طوّف بنا البحث في فضاء بعض مرثيات القائد الرمز أبي عمار ننظر في أحياز الأفعال المستخدمة فيها فوجدنا أن أحياز هذه الأفعال منها ما جاء على النحو المألوف سواء في ذلك الفعل القاصر أو الفعل المجاوز مفعولا أو مفعولين.

ومنها ما تم تضييق حيزه، وقد وجدت ذلك في الفعل القاصر أقل منه في الفعل المجاوز. ومنها ما تم توسيع حيزه سواء في ذلك الفعل القاصر أو المجاوز مفعولا، أو مفعولين، وإن أكثر وسائل توسيع الحيز استعمالا هي الجار والمجرور.

ومن الأفعال ما استعمل في حيزه تضاد من التضييق لهذا الحيز من جانب، وتوسيع له من جانب آخر،لم أجد ذلك فى الفعل القاصر بل وجدت ذلك في حيز الفعل المجاوز مفعولاً، وأقل منه كثيراً في حيز الفعل المجاوز مفعولين.

ولم أجد الشعراء في ذلك قد استعملوا الفعل المجاوز ثلاثة مفاعيل، خلال دراستى لأحياز الأفعال فى هذه المرثيات .

كل هذه الأساليب في أحياز الأفعال المستعملة في هذا المرثيات أنتجت انفتاحا في الدلالات، حيز على النحو المألوف يعطي الكلام في وقته دون تطويل، وتضييق في الحيز يختصر فيه الشعراء ما ليس مهمّا ذكره، ويذكرون ما يهم ذكره، وتوسيع يذكرون به في حيز الفعل ما يعتلج في صدورهم، وأسلوب عجيب آخر في حيز الفعل تضييق وتوسيع ينتج تضاداً في الأسلوب في حيز الفعل الواحد، يذكر فيه الشاعر ما يريده، ويختصر ما يريد.

الهوامش:

المصادر والمراجع:

1. للتفصيل في هذا الموضوع انظر ظاهرة التعدي واللزوم في :

سيبويه: كتاب سيبويه، تحقيق عبدالسلام هارون، بيروت، عالم الكتب، ط 1983/3م ح1/33-54، 4/59-78، ابن مالك: شرح التسهيل تحقيق د. عبدالرحمن السيد، ود. محمد المختون القاهرة، هجر للطباعة ط1، 1990، 1/148، ابن يعيش: شرح المفصل، القاهرة، مكتبة المتنبي، د.ت ، 6/62، ابن عقيل: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك بتحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، بيروت، دار الفكر ط16، 1/145، ابن هشام: أوضح المسالك بتحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، بيروت دار الفكر ط 1974/6، 2/175، الشيخ خالد الأزهري: شرح التصريح على التوضيح، دار الفكر، د. ت، 1/308،، السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق أحمد شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، 1998، 5/3، الصبّان: حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، القاهرة، دار إحياء الكتب العربيّة، د.ت، 2/86.

2. اللجنة التحضيرية للمؤتمر 2005: الزعيم القائد ياسر عرفات في عيون الأدباء ص10.

3. عرفات في عيون الأدباء ص 11.
4. الصواب هوى.
5. السابق 75 – 77.
6. السابق 7 ، ثم إن الشاعر قال " يروك " فحذف نون الرفع بلا داعٍ ضرورة شعرية .
7. السابق 12.
8. السابق 27.
9. السابق 35.
10. انظر في تفصيل ذلك ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق د. مازن المبارك، محمد حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط5/1979، ص 403، ص404.
11. عرفات في عيون الأدباء ص30.
12. السابق 33.
13. في قضية تنازع الفعل: انظر: همع الهوامع للسيوطي تحقيق أحمد شمس الدين 94/3، 95، وشرح ابن عقيل 163/2، وحاشية الصبان 97/2.
14. عرفات في عيون الأدباء ص8.
15. السابق 11 ، قال الشاعر " يفتديك قصائد " والأصوب "تفتديك " .
16. السابق 21 ، 22.
17. السابق 56.
18. السابق 107.
19. السابق 1.
20. السابق 3، 4.
21. السابق 76 ، 77.
22. السابق 14.
23. السابق 38.
24. السابق 12، ألقا هكذا في النص، والصواب ألقى.
25. السابق 6.
26. السابق 107، 108.
27. السابق 28.
28. السابق 38 ، وانظر لسان العرب مادة "حلم" فقد ذكر "أحلُم به" .
29. السابق 107.
30. السابق 17.
31. السابق 107.
32. السابق 9.

33. السابق 11، ذكرها العملاء، والصواب العلماء.
34. السابق 13.
35. السابق 77.
36. السابق 55.
37. السابق ص 13.
38. السابق 20.
39. السابق 6.
40. السابق 11.
41. السابق 12.
42. السابق 33.
43. السابق 3.
44. السابق 107، 108.
45. السابق 25.
46. السابق 12 ، وانظر اللسان مادة (رسل) .
47. السابق 15.
48. السابق 108.
49. السابق 3، 5 ، وانظر لسان العرب مادة (حبا) التي ترد بمعنى أعطى المتعدي لمفعولين.
50. السابق 19، 20.
51. السابق 27 ،28.
52. السابق 107.
53. السابق 9.
54. السابق 107، وانظر أتى الذى يتعدى لمفعول واحد ، لسان العرب مادة (أتى) .
55. السابق 107، 108.
56. السابق 17، 18.
57. السابق 15.
58. السابق 2.
59. السابق 4، 5 ، 6 ، وانظر الفعل المجاوز مفعولا (أثخن) بمعنى غلب لسان العرب مـــادة (ثخن) .
60. السابق 3، 5.
61. السابق 14.